الواحات المصرية

الداخلة والخارجة

الواحة واصلها بالمصرية القديمة "اوت" ارض زراعية مسكونة في وسط الصحراء. والواحات كثير في صحراء افريقية الكبيرة كواحة سيوى والواحة البحرية والواحتين الداخلة والخارجة. الاولى منها في الجهة الشمالية على ثمانية ايام الى ١٥ يوماً من القطر المصري حسب الطريق التي يختارها الذاهب. واقصر الطرق الذهاب بحراً الى مرسى مطروح ثم السير في الصحراء نحو ٥ ايام. وبقية الواحات تابعة لمديريات الوجه القبلي وكلامنا الآن محصور في الواحتين الداخلة والخارجة وهما تابعتان لمديرية اسيوط الخارجة تبعد مسيرة ٤ او ٥ ايام من اسنا والداخلة تبعد عن الخارجة مسيرة يوم غرباً

وتاريخ الواحات غامض جداً غير ان ذكرها في الكتابات القديمة يدلُّ على ان الناس اكتشفوها وسكنوها منذ زمان طويل. قرأ بروكش في كتابة قديمة وجدت في لقصر ينتمي تاريخها الى السنة الخامسة والعشرين من ملك ينتم الاول (سنة ١٠٣٣ قبل المسيح) ان الواحات كانت منفى للمجرمين فقد جاء في هذه الكتابة ان ينتم سمح لبقية حزب رعمسيس (وكانوا قد ثنوا اليها) بالرجوع. وسكان الواحات الاصليون كانوا غرباء عن مصر لكنهم كانوا يؤدون الجزية الى ملوكها منذ ايام تحتمس الثالث (سنة ١٦٠٠ ق م) على الاقل. وارسل اليها رعمسيس الثاني حامية في القرن الرابع عشر قبل المسيح وبعد ذلك بنحو قرن ابتدأ سكانها يزرعون الكروم وكانت خمرها فاخرة جداً. وفي ايام الملك منفتاح الذي خلف رعمسيس هجم اهالي ليبية على مصر من طريق الواحات

واشار هيرودوتس الى الواحة الخارجة في كلامه عن التجريدة التي ارسلها كمبيس ملك الفرس الى واحة سيوى وهلك منها خمسون الفاً فقال "ان عساكر كمبيس وصلت بعد مسيرة سبعة ايام في الرمال من طيبة الى مدينة الواحة التي يقال لها جزيرة المطوَّبين"

وفي الواحات آثار كثيرة يونانية ورومانية يستدلُّ منها ان الواحة الخارجة كانت تحت امر حاكم عسكري تابع لمقاطعة طيبة وانها كانت محطة عسكرية على الطريق بين مصر والولايات الرومانية في شمالي افريقية

وورد ذكر الواحات في كتب جغرافيي العرب كاليعقوبي والمقريزي وغيرهم ويستدل من كلامهم عنها انها كانت قد فقدت في ايامهم كثيراً من شأنها السالف. واول من زار الواحة

الخارجة من المتأخرين بونسه سنة ١٦٩٠ وبرون سنة ١٧٩٣ وبركش سنة ١٨٧٤ وشوينفرت وغيرهم. وزارها حديثاً كثيرون من موظفي الحكومة المصرية وبعض موظفي مصلحة المساحة الجيولوجية فنشروا عنها التقارير الضافية خصوصاً فيما يتعلق بالوجهة العلمية كاقليمها وطبقات ارضها وظواهرها الجوية وحيواناتها ونباتاتها

وفي ما نشروهُ عنها امور كثيرة لا تخلو من لذة وفائدة خصوصاً وان هذه الواحات تابعة لمصر ولا يعرف المصريون عنها الاَّ اسمها مع انها ذات خيرات وفيرة ومعادن كثيرة . فالواحة الخارجة تبعد نحو ١٨٠ كيلومترًا عن اسنا الى جهة الغرب طولها من الشمال الى الجنوب نحو ١٥٠ كيلومترًا وعرضها من الشرق الى الغرب نحو ٤٠ كيلومترًا . والطريق اليها من وادي النيل واسعة مطروقة فيها كثير من عظام الحيوانات التي هلكت فيها وعلى جانبيها تلال صغيرة يستدل بها المسافرون على المسافة التي قطعوها . والصحراء بين مصر والواحات صخرية قاحلة وليس فيها ماء مطلقاً ولا ينبت فيها نبت يذكر

والواحات نفسها منخفضات من الارض وسطها غير مستوٍ او هو صخري قاحل الاَّ حيث توجد المياه . وخصب هذه الاراضي ناتج من المياه التي في طبقاتها السفلى فحيثما وجدت منفذاً طبيعيًّا او حيثما حفر الناس آبارًا ارتوازية رفعها الضغط الذي عليها الى وجه الارض . وصناعة حفر هذه الآبار في الواحتين الخارجة والداخلة قديمة جدًّا منذ ايام الرومانيين ثم فقدت مدة طويلة ولم تعُدَ الاَّ في هذا القرن والفضل في ذلك لرجل فرنسوي اسمهُ ايمه رأى الاهالي يجهلون حفر الآبار الارتوازية فاذا طويت احدى آبارهم القديمة لم يمكنهم ان يحفروا غيرها فاستحضر آلة لحفرها واستأذن محمد علي باشا في نقلها الى الواحات . واقام اولاً في الواحة الخارجة وأسس معملاً للنيلة ولاستخراج الشب والشب كثير في تلك النواحي . وفي السنة التالية اخذ معهُ آلة الحفر وانتقل الى الواحة الداخلة . وقد أُرسلَ بعد ذلك الى الواحات خمس آلات لحفر الآبار احداها اهديت من المغفور لهُ الخديوي السابق الى الشيخ السنوسي

واراد سعيد باشا تجنيد العربان فعصت عليهِ بعض قبائل الوجه القبلي كالجوازي وغيرها ورحلوا من وادي النيل الى الواحة الخارجة وقطعوا نخيلها ثم ساروا الى الداخلة وفعلوا كذلك . وارسل اليهم سعيد باشا حملة عسكرية ومعها المدافع وساعدتهُ قبيلة اولاد علي فانكسر العربان وهرب من هرب منهم الى طرابلس الغرب حيث بقوا حتى عُفي عنهم واذن لهم في الرجوع وكان بين زعماء هذه الثورة الشيخ المصري احد رؤساء قبيلة الجوازي فصار اهالي الواحات يدعون تلك السنة بسنة المصري الى اليوم

ومن اسباب تأخر الواحات ابطال مسير القوافل من دارفور الى اسيوط بطريق الخارجة وقت الثورة السودانية ومن المحتمل ان التجارة على تلك الطريق كانت قد قلّت كثيراً قبل الثورة بسبب الغاء الخاصة

وفي الخارجة قرًى كثيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف وفيها نحو ستين الف نخلة ومئتا بئر . وحيواناتها الاليفة الخيل والبقر والغنم والمعزى وفيها من الطيور الداجنة الحمام والدجاج والديك الرومي ومن حيواناتها البرية الضبع والذئب والثعلب . وينبت في ارضها القمح والشعير والارز والذرة والبرسيم والباميا والملوخيا والشمام والبرتقال . والكرم قليل جداً فيها الآن بعد ان اشتهرت في الزمان القديم بجودة خمرها . ويكثر فيها السنط والدوم وسنطها افضل كثيراً من سنط وادي النيل . ويصدر من حاصلاتها التمر فقط اما الباقي فيستعمل فيها وهو اقل من الحاجة فيضطر الاهالي الى جلب باقي ما يحتاجون اليه من القطر المصري . ويبتدئ موسم التمر عندهم في اغسطس وينتهي في يناير وفي هذه الاشهر تكثر المواصلات مع وادي النيل لكثرة تردد تجار التمر . ويصعب معرفة عدد الجمال التي تحمل التمر سنوياً منها الى الوجه القبلي وقد قدره بعضهم بين الف وخمسماية جمل والفي جمل . واهالي الخارجة فقراء وكثيرون منهم يأتون سنوياً الى القطر المصري للتعيش ثم يرجعون الى اوطانهم مدة موسم التمر

وتمتد الواحة الداخلة من الشرق الى الغرب وهي اصغر من الخارجة واكثر سكاناً وصادرات وسكانها سبعة عشر الفاً وفيها نحو ١٣٠ الف نخلة وما ينيف على خمسمائة بئر . وحاصلاتها مثل حاصلات الواحة الخارجة وفيها ايضاً الصفصاف والكرم والزيتون . وعدد الجمال التي تنقل منها التمر سنوياً يربو على الفين ويصدر منها ايضاً البقر الى الواحة الخارجة والى بلاد الريف رغماً عن بعد المسافة . ويصنع الخزف في بلدة القصر وكذلك عرق البلح وفيها معصرة للزيت وانوال للحياكة . واهالي الداخلة اكثر ثروة من اهالي الخارجة ويعتمدون في معاشهم على مواشيهم وغلات ارضهم اكثر مما يعتمدون على التمر

وهواء الواحات حار جداً في الصيف ولاسيما عند هبوب ريح السموم ومعتدل في الشتاء تختلف حرارته من ٧٥ درجة فارنهيت في نوفمبر الى ٥٠ درجة فارنهيت في يناير . وهو جاف جداً . وتكثر فيها الحميات في الصيف والخريف فيموت بها كثير من السكان

واكثر الآثار القديمة في الواحة الخارجة وهي هياكل مصرية بنيت مدة حكم الفرس (٥٢٧ — ٣٣٦ ق م) وهياكل أخرى بنيت في مدة حكم اليونان والرومان (٣٣٢ ق م الى ٦٤٠ بعد المسيح) وقلاع رومانية وكنائس وقبور مسيحية وآبار ارتوازية . وعلى هذه الآثار

كتابات وصور كثيرة قرئ بعضها والبعض الآخر لم يقرأ بعدُ . وهم الهياكل المصرية ديكل هيبس شرع في بنائهِ داريوس الاول ملك الفرس واتمهُ داريوس الثاني في القرن الخامس قبل الميلاد وهو الوحيد الذي بني من الابنية العمومية التي اقامها الفرس مدة دولتهم في مصر وطول هذا الهيكل اربعة واربعون متراً وعرضهُ ١٩ متراً وحولهُ ثلاثة ابراج لابوابهِ وهو مبني بالحجر الرملي . والهياكل الرومانية عديدة ومتفرقة في الواحة الخارجة واكثرها ينتهي تاريخهُ الى القرن الثاني والثالث بعد المسيح . وحول بعض هذه الهياكل آثار المدن التي كانت قائمة في ذلك الوقت وكان هناك مدن كثيرة غيرها دُرست وغطت الرمال انقاضها ولم يبقَ منها الاَّ قطع خزف وآثار مجارٍ قديمة للمياه تدل على انها كانت آهلة بالسكان

وفي الواحة آثار قلاع رومانية وابراج للاستكشاف وكلها في شمالها على الطريق الموصل الى القطر المصري

ومن اهم الآثار في تلك الجهة مدافن المسيحيين القدماء على اربعة كيلومترات شمالي بلدة الخارجة وقد اعجب بجمال بنائها جميع السياح الذين زاروا الواحات ووصفوها وصفاً مدققاً . وفيها نحو مئتي مدفن بهيئة بيوت بينها شوارع منظمة ومجموعها اشبه ببلدة مهجورة منها بمدافن الاموات . وكلها مبنية بالطوب النيء ومختلفة الحجم فالكبير منها يحيط بهِ اعمدة وقناطر والصغير مقبَّب وتحت القبة حفرة مربعة صغيرة يتشعب منها عدة غرف . وداخل هذه المدافن مبيض بالجير وكان اصلاً مزيناً بالنقوش ثم محيت وابدلت بكتابات عربيَّة . وقد سلم احد هذه المدافن من الايدي المخربة فيرى فيهِ الناظر صوراً متقنة حوالي القبة وتحتها اسماؤها باليونانية منها صورة آدم وحواء وابرهيم واسحق وسارة ودانيال والاسود ونوح في السفينة وصور كثير من القديسين . وقد جاء في التاريخ ان الاسقف اسطوريوس نفي الى الواحات في القرن الخامس للميلاد فلا يبعد ان هذه الجبانة كانت مدفناً لاتباعهِ . ويستدل من اثواب المومياء التي شوهدت مختلطة بالعظام حوالي هذه الجبانة ان عادة تحنيط الموتى بقيت مدة طويلة بعد التاريخ المسيحي

غير ان اهمَّ آثار الواحات التي يستفاد منها الى الآن الآبار الارتوازية القديمة التي يدعوها الاهالي " العيون الرومانية " فان كثيراً منها محفور في مرتفعات من الارض حتى يسهل جريان المياه منها الى الاراضي الواطية . وطرق رفع المياه تكاد تكون مجهولة تماماً في تلك الاصقاع خصوصاً في الواحة الخارجة ولم يشاهد السيَّاح سوى ساقيتين او ثلاث وبعض الشواديف في الواحة الداخلة

واهالي الواحات كسالى على الغالب يكرهون العمل وخصوصاً ما لم يألفوهُ من الصغر وهذا سبب فقرهم . فاذا ردمت بئر قديمة طلبوا من الحكومة ان تحفر لهم بئراً اخرى مع ان تطهير البئر الاولى قد يكون اسهل واقل نفقة من حفر بئر جديدة . ولو اعتني الاهالي بحفظ الآبار القديمة سالمة من الردم وباستخدام الوسائل لرفع المياه (وهي احياناً على عمق قليل جداً تحت سطح الارض) لزادت اراضيهم الزراعية وتحسنت احوالهم كثيراً

وآلات حفر الآبار التي في الواحات بسيطة جداً اشبه بالآلات المستعملة الآن في القطر المصري ويستعملون عوضاً عن الانابيب الحديدية انابيب من خشب السنط متقنة الصنع جداً لا تنفذ المياه جدرانها . ويظهر ان صناعة هذه الانابيب قديمة جداً في الواحات فان الانابيب التي في العيون الرومانية لا تزال في حال صالحة كما لو كانت قد صُنعت حديثاً

وفي الواحات من المعادن الفصفات وهو في الداخلة ولو لا بعد المسافة لامكن نقلهُ بسهولة الى وادي النيل والانتفاع بهِ في تسميد الاراضي . وفيها ايضاً الشب والحمرة والملح وقليل من الكوبلت والنكل ولكن الراجح ان هذه المعادن كلها موجودة بكميات قليلة لا تفي بنفقة استخراجها

وقد بحث جيولوجيو مصلحة المساحة في مصر عن اصل الواحات وكيفية تكونها فذهبوا الى ان طبقات الارض تغير ترتيبها هناك في احد العصور الخالية لسبب طبيعي فانكشف كثير من الطبقات اللينة وتعرّضت للرياح ففتتتها وحملت ترابها وبذلك انخفضت الارض . ولا تزال الرياح في تلك الانحاء تفعل هذا الفعل الى الآن والواحات تزيد اتساعاً

نسيم بربري

منزلة الشعر من التاريخ

﴿ ٣٣ ﴾ الحصون والآطام

كان العرب يستخدمون في البناء الشيد والاجر والقرميد قال النابغة الذبياني

او دمية من مرمر مرفوعة بُنيت بآجرٍ تُشاد وقرمدِ

وقد شادوا الحصون المنيعة والآطام الراسخة كالخورنق والسدير وقصر غمدان واحتفروا الآبار وكلُّ ذلك قد جاء في شعرهم قال السموأل المشهور

بنى لي عاديا حصناً حصيناً وبئراً كلما شئتُ استقيتُ

يشير بقولهِ هذا الى الابلق الفرد الذي دعاهُ لمنعتهِ جبلاً حيث قال